"التربية في زمن الحرب"

من منظور تربوي–اجتماعي–نفسي

غمدان أحمد رزق شريح

Ghamdan_ah@hotmail.com

المقدمة

تشكل الحروب واحدة من أكثر الظواهر الإنسانية تأثيرًا في المجتمعات على مرّ التاريخ، إذ تُخلّف آثارًا عميقة على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ولا سيّما على قطاع التربية والتعليم. ففي زمن الحرب تتعرض المؤسسات التعليمية للدمار المادي والانقطاع المعرفي، وتتأثر العملية التربوية نفسيًا وسلوكيًا، مما يجعل التربية في مثل هذه الظروف تحديًا مضاعفًا ومسؤولية إنسانية كبرى.

تنبع أهمية دراسة التربية في زمن الحرب من الحاجة إلى فهم كيفية استمرار التعليم وتكيف النظم التربوية في مواجهة الأزمات، وكيف يمكن للمدرسة والمعلم أن يساهما في إعادة بناء الوعي والهوية الوطنية في ظل الفوضى والاضطرابات.

أهمية البحث

إبراز دور التعليم في بناء السلام وإعادة الإعمار بعد الحروب.

توعية المؤسسات المحلية والدولية بأهمية دعم التعليم في الأزمات.

الإسهام في تطوير سياسات تربوية بديلة لمواجهة الأزمات.

أهداف البحث

التعرف على واقع التعليم في مناطق النزاعات والحروب.

دراسة تأثير الحرب على جودة التعليم والطلاب والمعلمين.

تحليل استراتيجيات المنظمات الإنسانية في دعم التعليم أثناء الأزمات.

اقتراح حلول عملية لضمان استمرار التعليم في فترات الحرب.

أسئلة البحث

كيف تؤثر الحروب على البنية التحتية التعليمية؟

ما الأساليب التي تُستخدم لضمان استمرارية التعليم في ظروف الحرب؟

ما الآثار النفسية والاجتماعية للحرب على الطلاب والمعلمين؟

كيف يمكن توظيف التكنولوجيا لدعم التعليم في الأزمات؟

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة واقع التعليم في زمن الحرب، والكشف عن أبرز التحديات التي تواجه العملية التعليمية أثناء النزاعات المسلحة، مع تحليل الجهود المبذولة لاستمرار التعليم رغم الظروف الصعبة. فقد أصبحت الحروب المعاصرة من أبرز العوامل التي تعيق التنمية البشرية، وتؤدي إلى تعطيل المدارس والجامعات، وتسرب أعداد كبيرة من الطلاب، فضلًا عن التأثير النفسي والاجتماعي الذي يتركه النزاع المسلح على المعلمين والمتعلمين على حد سواء.

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لرصد مظاهر التدهور التعليمي في مناطق النزاعات، وتحليل استراتيجيات بديلة تبنتها المؤسسات الدولية كاليونسكو واليونيسف لضمان استمرار التعليم في ظل الأزمات، مثل التعليم عبر المنصات الإلكترونية، والتعليم في الملاجئ والمخيمات، وبرامج الدعم النفسي والاجتماعي للطلاب.

وتُظهر نتائج البحث أن استمرار التعليم أثناء الحرب يمثل عاملًا أساسيًا في تعزيز الصمود المجتمعي، والحد من ظواهر التطرف والبطالة، والمساهمة في إعادة الإعمار بعد انتهاء النزاع. كما يؤكد البحث ضرورة وضع سياسات وطنية ودولية تضمن حماية المؤسسات التعليمية والكوادر التدريسية أثناء النزاعات، وتطوير خطط طوارئ تعليمية مستدامة.

وفي ختام الدراسة، يوصي الباحث بضرورة دعم التعليم في الأزمات بوصفه حقًا إنسانيًا لا يقل أهمية عن الغذاء والأمن، وإشراك جميع الأطراف — الحكومية والدولية — في بناء منظومة تعليمية resilient قادرة على الصمود أمام الكوارث والحروب.

Abstract

This research aims to examine the reality of education during times of war and to identify the major challenges facing the educational process amid armed conflicts, while analyzing the efforts made to ensure the continuity of learning despite difficult conditions. Modern wars have become one of the main obstacles to human development, leading to the destruction of schools and universities, the dropout of large numbers of students, and severe psychological and social effects on both teachers and .learners

The study adopts a descriptive and analytical approach to observe the deterioration of education in conflict zones and to analyze alternative strategies adopted by international organizations such as UNESCO and UNICEF to maintain education during crises — including online learning, education in shelters and refugee camps, .and psychosocial support programs for students

The findings indicate that maintaining education during wartime is a key factor in strengthening community resilience, reducing extremism and unemployment, and

contributing to post-war reconstruction. The research also emphasizes the need for national and international policies to protect educational institutions and teaching staff during conflicts and to develop sustainable emergency education plans.

In conclusion, the researcher recommends that education in emergencies should be supported as a fundamental human right, equal in importance to food and security, and that all parties — governmental and international — should collaborate to build a resilient educational system capable of withstanding wars and crises.

المبحث الأول تعريف الحرب

الحرب هي: صراع مسلح ينشأ بين دولتين أو أكثر، أو بين أطراف داخل الدولة الواحدة، يُستخدم فيه العنف المنظم لتحقيق أهداف: سياسية ،أو اقتصادية ،أو اجتماعية، أو دينية.

ويُعدّ الهدف الأساسي من الحرب :فرض الإرادة بالقوة، إذ يسعى كل طرف إلى إخضاع الطرف الآخر وإجباره على القبول بشروط معينة.

وقد عرفها كارل فون كلاوزفيتز (Carl von Clausewitz) — وهو من أبرز منظّري الحرب — بأنها:

"استمرار للسياسة بوسائل أخرى".

أما في المعاجم العربية، فالحرب تُعرَّف بأنها:

"نزاع مسلح بين جماعتين أو أكثر، يُستخدم فيه السلاح وتُراق فيه الدماء، لتحقيق مصلحة أو ردّ عدوان".

وإن كانت الحرب هي علة الشرور الحاضرة، فالسلم ينبغي أَن يصلح ذلك ويدفعه[1].

تعريفات الحرب:

من منظور قانوني: هي حالة نزاع مسلح تخضع لقانون النزاع المسلح، ويجب على أطرافها الالتزام بقواعد القانون الدولي الإنساني.

من منظور عسكري وسياسي: هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى غير سلمية، حيث تستخدم فيها القوة لتحقيق أهداف سياسية.

من منظور اجتماعي: هي شكل من أشكال العنف الجماعي المنظم بين المجتمعات أو داخلها، ويمكن أن تشمل صراعات داخلية كالحرب الأهلية أو صراعات بين دول.

أنواع الحرب:

الحرب بين الدول: نزاع مباشر بين دولتين أو أكثر، وقد تتضمن تحالفات عسكرية.

الحرب الأهلية: صراع مسلح داخل حدود دولة واحدة لتحقيق أهداف سياسية أو اجتماعية.

الحرب الهجين: مزيج من الأساليب العسكرية التقليدية وغير التقليدية، مثل الحرب الإلكترونية، والعقوبات، والتضليل الإعلامي.

مفاهيم أخرى: تظهر مفاهيم مثل "الحرب ضد الأمراض" أو "الحرب ضد الجهل" للإشارة إلى صراعات غير عسكرية، وإن كان التعريف الأساسي يركز على الصراع المسلح.

المبحث الثاني

التحديات التي تواجه التعليم في زمن الحرب– والحلول

تدمير البنية التحتية التعليمية كالمدارس والجامعات والمكتبات.

انقطاع التمويل اللازم للرواتب والوسائل التعليمية.

نزوح وتشريد الطلاب والمعلمين وفقدان الاستقرار النفسي.

نقص الموارد التكنولوجية والوسائل البديلة للتعليم.

الانقطاع عن المناهج الدراسية وضياع السنوات الدراسية للطلاب.

سُبل الحفاظ على التعليم في زمن الحرب– وأسبابه .

1. التعليم البديل (التعليم عن بُعد)

استخدام الإنترنت، والإذاعة، والتلفزيون، والتطبيقات التعليمية لتوفير الدروس.

تطوير منصات وطنية وإقليمية للتعليم الإلكتروني.

تدريب المعلمين على التدريس الرقمي.

2. المدارس المؤقتة والآمنة

إنشاء مدارس ميدانية أو صفوف متنقلة في أماكن النزوح.

توفير: بيئة آمنة للطلاب تحميهم من الصدمات النفسية.

3. التعاون الدولي والإنساني

دعم منظمات مثل اليونسكو، واليونيسف، والمفوضية السامية للاجئين لتوفير الدعم اللوجستي والتقني. والدعم المدني الاجتماعي أفضل وأيسر .

إشراك المنظمات المحلية في برامج التعليم الطارئ.

4. **دعم المعلمين نفسيًا ومهنيًا**

تقديم برامج دعم نفسي، واجتماعي للمعلمين والطلاب.

استمرار تأهيل وتدريب الكوادر التعليمية رغم الظروف الصعبة.

5. **المناهج المرنة والمختصرة**

تصميم مناهج تعليمية تتكيف مع الواقع الحربي وتُركّز على المهارات الأساسية.

إدراج مواد عن السلام، والتسامح، والوعي بحقوق الإنسان.

6. **توظيف الإعلام والتكنولوجيا**

استخدام وسائل الإعلام لنشر برامج تعليمية مبسطة.

الاستفادة :من الهواتف الذكية والرسائل النصية في إيصال المحتوى للطلاب.

7– **تدريس العلوم بلغة المسطير**

وقصر التعلم على طبقة خاصة واحلال المدرسين الأجانب محل الوطنيين ووضع برامج تهدف إلى تحطيم معنويات الأمة ،وتصويرها بصورة الامة المستعبدة وتدريس تاريخ الامة المحتلة على نحو تعظيم واكبار واستبعاد التاريخ القومي، وحجب كل معانى عظمة الامة من لغة وتاريخ وبطولات وامجاد. واثارة جو من الشكوك والريب حول القيم الروحية والوطنية ومحاولة اقناع الامة المحتلة بأن الاحتلال عمل مدني.

8- تجارب واقعية

في سوريا واليمن أُنشئت مبادرات محلية لتعليم الجرحى عبر التعليم المنزلي والدروس عبر الإنترنت.

وإن كان فيها نقص شديد بسبب ضعف الانترنت انقطاع الكهرباء .

في فلسطين تُقدَّم برامج "التعليم للجرحى والمصابين" بإشراف وزارة التربية والتعليم لدعم المصابين جراء العدوان، وهو بنسبه ضئيلة جدا، كان من الممكن تمنية المهرات الممكنة عبر شبكات التواصل حسب المتاح .

في العراق، والأردن، نُفّذت مشاريع تعليمية تأهيلية لجرحى الحروب باستخدام التعليم المهني والتقني

وهي أيضا محدودة، ولو كانت شاملة ميسرة لكانت أجود.

9- **العديد من البلدان النامية**، لا يكفي عدد المدارس لتلبية الطلب المتزايد على التعليم. وغالبًا ما يفوق النمو السكاني وزيادة عدد الطُلّاب إنشاء المدارس الجديدة. ونتيجة لذلك، تصبح المدارس القائمة مكتظة بالطلاب، مما يُضر بجودة التعليم، ويجعل من الصعب على المعلمين إدارة الطلاب والتركيز أثناء الشرح.

بالنسبة للعديد من الأطفال، وخاصة أولئك الذين يعيشون في المناطق الريفية أو النائية، يُمكن أن تكون الرحلة إلى المدرسة طويلة وشاقة. وفي بعض الحالات، يتعين على الطلاب السير عدة كيلومترات كل يوم للوصول إلى أقرب مدرسة. وتشكل هذه المسافة عائقًا كبيرًا أمام التعليم، وخاصة بالنسبة للأطفال الصغار. ويُمكن أن تؤدي الرحلات الطويلة إلى التعب والإرهاق، وهو الأمر الذي سينعكس على الأداء الأكاديمي للطالب، بالخصوص عن زامن الفقر والمشقة حرب .

بالإضافة إلى ذلك، فإن سلامة الطلاب الذين يسافرون لمسافات طويلة – وخاصةً الفتيات – تُشكِّل مصدر قلق كبير عند الأهالي، وهو الأمر الذي يؤثّر تأثيرًا مباشرًا على معدلات الحضور والانقطاع عن الدراسة. وبالنسبة للأسر التي تعيش في فقر مدقع، فإن التكاليف المرتبطة بالنقل قد تكون باهظة، مما يدفعهم إلى منع الابن/الابنة من الحضور توفيرًا للنفقات. ومع عدم الانتظام في الحضور، تستمر دوّامة الفقر، حيث تقل فرص الأطفال غير المتعلمين في الحصول على فرص العمل التي تضمن لهم حياةً كريمة.

10– بيئة التعليم ، اليمن نموذج

لقد أخذت الحرب وسنوات الانقسام من اليمن أكثر مما يمكن للعقل أن يتصور. ولعل من أكبر الخسائر التي لحقت بنا هي تدهور التعليم، هذه الخدمة التي لا تقوم الأوطان بدونها، والتي تُعد أساس بناء الإنسان والمجتمع. لم تعد المدارس كما كانت، ولا الجامعات بمكانتها، واختلت منظومة التعليم الرسمي، حتى أصبحت الفجوة بين واقعنا ومعايير التعليم في العالم شاسعة، موجعة.

لقد سرقت السنوات العجاف من التعليم كل ما يستند عليه: دُمرت آلاف المدارس، وأُوقف تطوير المناهج، وزُرع فكر الصراع في حنايا الكتب، وأُجبر المعلمون والطلاب على الخروج من بيئة التعلم إلى واقع التيه. ورغم كل هذا الخراب، ظل هناك بصيص من الأمل؛ معلمون ما زالوا يحملون في صدورهم ضميرًا حيًا، وأمهات يعلّمن أبناءهن بما استطعن، وشباب يقدمون دروسًا تطوعية في الأحياء، وآخرون يحاولون استغلال ما توفر من أدوات رقمية رغم رداءة الإنترنت وانعدام الدعم.

وفي ظل هذا الواقع، لا يليق بالمعلم أن يستسلم، أو يكتفي بتعداد الخسائر، أو يركن إلى البطالة المقنّعة، أو يبرر الإضراب بلا بديل. بل عليه، من موقعه الإنساني والمهني، أن يسهم بما يستطيع في تعليم من حوله. فالحاجة إلى من يُعلِّم اليوم أشد من أي وقت مضى، والطلاب التواقون إلى المعرفة حاضرون في كل حي وزقاق، ينتظرون فقط من يمد إليهم يد العون، ويشعل في داخلهم شمعة التنوير والطموح.

نعم، الوضع المعيشي قاسٍ، والضغوط أكبر من أن تُحصى، لكن الواقع أيضًا يخلق وقتًا كبيرًا فارغًا نتيجة توقف مؤسسات الدولة. ولعل المعلم، حين يملأ جزءًا من هذا الوقت في تعليم غيره، يكون قد قدّم للمجتمع خدمة عظيمة تستحق التبجيل والتقدير.

فاليوم، لم يعد التعليم حكرًا على الفصول الدراسية. يمكن أن يحدث في بيت صغير تقرأ فيه أم مع أطفالها، أو في موقع عام يجتمع فيه بعض التلاميذ، أو عبر هاتف بسيط يحمل درسًا من معلم تطوّع من بيته. المعرفة لا تحتاج إلى مبانٍ ضخمة، بل إلى إرادة ونوايا صادقة وعقول منفتحة.

كل من يسهم في استمرار التعليم هو بطل بصمت؛ المعلم الذي يواصل رغم الجوع، الأم التي تراجع دروس ابنها وسط همومها، الأب الذي يوجّه أبناءه نحو التعلم بدلًا من الضياع، الشاب الذي يعلّم أطفال الحي مجانًا، وحتى ما تبقى من ضمير في بعض المسؤولين الذين يسخّرون الإمكانات المحدودة لدعم المعلمين وتعزيز دورهم... جميعهم جذوة أمل لا تلتقطها الكاميرات، لكنها تُنير طريق المستقبل من خلف الظلال.

إن التعليم لم يعد مجرد خدمة حكومية، بل تحول إلى فعل مقاومة ضد الانهيار. وحين نحافظ على تعليم أبنائنا، فإننا نُبقي جذوة الحياة مشتعلة، ونمنح الوطن فرصة للنهوض من تحت الركام. قد لا نملك إنهاء الحرب أو إصلاح كل شيء، لكننا نملك ما هو أثمن: أن نحمي عقول أطفالنا من أن تصبح ضحايا للظلام والفراغ.

فالتعليم لا يقتصر على نقل المعلومة، بل هو جدار صدّ في وجه الكثير من الانحرافات. بالتعليم والتوعية المستمرة، نستطيع أن نحد من انتشار المخدرات، وتعاطي القات، وانزلاق الشباب إلى مسارات التيه والضياع. فبالعلم والثقافة، نؤسس لمجتمع واعٍ، يختار مستقبله بيديه، ويحمي أبناءه من السقوط في مستنقعات لا عودة منها.

تم اغلاق : الكثير من الجامعات ، والمراكز، والمعاهد ، اعتقاد أنها تتبع جهة معينة معادية أو مخالفة ، وبعض مراكز التعليم تم اغلاقها طوعا بسبب : توقف الإيرادات المالية تسبب عجز مالي وعدم القدرة على المواصلة ، فكان وضع الشباب : إما مكافح وجد بدائل، أو عاجز ظل كما هو ، أو سافر خارج الوطن فصنع فرصة للتعلم والعمل ، أو انخرط في سلك الحرب .

المبحث الثالث

حلول عامة

استمرار التعليم رغم الظروف.

تقليل نسبة التسرب المدرسي.

حفظ الاستقرار النفسي والاجتماعي للأطفال.

تعزيز ثقافة الصمود والأمل لدى المجتمعات المتضررة.

دمج برامج "التعليم في الطوارئ" ضمن سياسات التعليم الوطنية.

إشراك المنظمات غير الحكومية في تمويل ودعم المدارس الميدانية.

تدريب المعلمين على إدارة الصفوف في البيئات غير المستقرة.

إنشاء بنك موارد تعليمية رقمية مجاني للطوارئ.

تحفيز المجتمع المحلي للمشاركة في دعم العملية التعليمية.

الخاتمة

إنّ التعليم في زمن الحرب ليس مجرّد وسيلة لاكتساب المعرفة، بل هو درع يحمي المجتمعات من الانهيار الفكري والقيمي، ووسيلة للحفاظ على الهوية الوطنية والثقافية. فحين تتوقف المدارس وتُهدم الجامعات، يظلّ العلم هو النور الذي يقود الشعوب إلى الأمل والبقاء.

لقد أثبتت التجارب الإنسانية أنّ استمرار التعليم في أوقات النزاع يُسهم في الحدّ من آثار الحرب، ويزرع في نفوس الأطفال روح الصمود والإصرار على بناء مستقبل أفضل. ومن هنا، فإنّ مسؤولية الحفاظ على التعليم ليست مقصورة على الحكومات فحسب، بل هي واجب تشاركي بين الدولة والمجتمع والمنظمات الدولية والأفراد.

ولا بدّ من اعتماد حلول مبتكرة ومرنة تضمن وصول التعليم إلى كل طفل، حتى في أحلك الظروف، لأنّ الأمم لا تُقاس بعدد جيوشها، بل بقدرتها على حماية عقول أبنائها. فبالعلم تُبنى الأوطان، وبالجهل تنهدم الحضارات.

قائمة المراجع

اليونسكو. (2015). التعليم في الأزمات والنزاعات: إطار العمل من أجل التعليم للجميع. باريس: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.

اليونيسف. (2018). التعليم في حالات الطوارئ: المبادئ التوجيهية العالمية. نيويورك: صندوق الأمم المتحدة للطفولة.

الزعبي، ف. م. (2019). أثر الحروب والنزاعات المسلحة على التعليم في الوطن العربي. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث التربوية والنفسية، 10(2)، 115–140.

البدري، خ. ع. (2020). استراتيجيات الحفاظ على التعليم أثناء النزاعات المسلحة. المجلة العربية للدراسات التربوية، 15(1)، 87–112.

الموسوي، ح. ع. (2017). التعليم في بيئات النزاع: تحديات وحلول. مجلة البحوث التربوية، جامعة بغداد، 28(3)، 55–78.

عبد الرحمن، ن. ح. (2021). التعليم في الأزمات الإنسانية: رؤية تحليلية لتجارب الدول العربية. مجلة الدراسات التربوية والإنسانية، جامعة المنصورة، 6(2)، 201–229.

UNESCO Institute for Statistics. (2020). Education under attack: Global report. Paris: UNESCO Publishing.

Save the Children. (2019). The right to learn in conflict: Education in emergencies report. London: Save the Children International.

عبد الكريم، ي. م. (2018). دور المنظمات الدولية في دعم التعليم في أوقات الحروب والنزوح. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 34(4) , 89–105.

البشير، س. أ. (2022). التعليم بوصفه أداة للسلام في المجتمعات المتأثرة بالنزاعات. المجلة الدولية للعلوم التربوية، 9(1)، 45–68.

أحمد أنور سيد أحمد الجندي (ت 1422 هـ) - تاريخ الغزو الفكري والتعريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين 1920/ 1940- دار الاعتصام.

عبد الناصر ثابت الثابتي – مقال .